كيمياء السعادة

﴿ لحجة الاسلام أبي حامد محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ ﴾

(ويليها)

الرسالة اللدنية

(له قدس سره)

(الطبعة الثانية في سنة ١٣٤٣ هـ)

﴿ طبع على نفقة الصحافة المنقب عن الاسفار النفيسة ﴾

محيي الدين صبري الكردي

﴿ حقوق الطبع محفوظة لناشرها ﴾

طبع بمطبعة السعادة

بيان الكتب المطبوعة على نفقتنا

١٥ موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين . لجمال الدين القاسمي
٠٧ ميزان العمل لحجة الاسلام الغزالى .
١٠ معيار العلم في المنطق له ايضا .
١٠ مقاصد الفلاسفه في المنطق والالهيات والطبيعيات له ايضا .
٠٥ جواهر القرآن ودرره له ايضا .
١٥ النجاة لابن سينا في المنطق والالهيات والطبيعيات .
٠٨ جامع البدايع يحتوي على ١٨ رسالة لابن سينا وعمر الخيام .
٠٦ جوامع الآداب في اخلاق الانجاب لجمال الدين
٠٣ هياكل النور للسهروردي .
٠٤ سلوك المالك في تدبير الممالك .
١٢ شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون في الادب والتاريخ .
٠٦ كتاب الورع للامام احمد بن حنبل .
٣٠ مجموعة الرسائل اغلبها للغزالى وابن سينا .
٠٣ الرسالة اللدنيه لحجة الاسلام الغزالى .
١٠ مجموعة الرسائل تأليف ابو الفضائل . في الحكمة والفلسفة
٠٨ مقالة سائح في تاريخ البهائية

كيمياء السعادة

﴿ لحجة الاسلام أبي حامد محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ ﴾

(ويليها)

الرسالة اللدنية

(له قدس سره)

(الطبعة الثانية في سنة ١٣٤٣ هـ)

﴿ طبع على نفقة البحاثة المنقب عن الاسفار النفيسة ﴾

محيي الدين صبري الكردي

بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أصعد قوالب الاصفياء بالمجاهدة * وأسعد قلوب الاولياء بالمشاهدة * وحلّى السنة المؤمنين بالذكر * وجلّى خواطر العارفين بالفكر * وحرس سواد العبّاد (١) عن الفساد * وحبس مراد الزهّاد على السداد وخلص اشباح المتقين من ظلَم الشهوات * وصفى أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات * وقبل اعمال الاخيار باداء الصلوات * وايد خصال الاحرار باسد الصلات * أحمده حمد من رأى آيات قدرته وقوته * وشاهد الشواهد من فردانيته ووحدانيته * وطرق طوارق سرّه وبرده وقطف ثمار معرفته من شجر مجده وجوده * وأشكره شكر من اخترق واغترف من نهر فضله وافضاله وأومن به ايمان من آمن بكتابه وخطابه وانبيائه واصفيائه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له * واشهد ان محمدا عبده ورسوله بعثه لأصلاب الفسقة والفجرة قاصما * ولعرى الجاحدين والمارقين فاصما * ولباع الشك والشرك قاصرا * ولاتباع

(١) سواد العباد جميعهم وعامتهم *

الحق والاحسان ناصرا * فصلوات الله عليه وعلى آله واصحابه اجمعين *

﴿ عنوان معرفة النفس ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان الكيمياء (١) الظاهرية لا تكون فى خزائن العوام وانما تكون فى خزائن الملوك فكذلك كيمياء السعادة لا تكون الا فى خزائن الله سبحانه وتعالى ، ففى السماء جواهر الملائكة ، وفى الارض قلوب الاولياء العارفين * فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة النبوة فقد أخطأ الطريق ويكون عمله كالدينار البهرج فيظن فى نفسه انه غنى وهو مفلس فى القيامة كما قال سبحانه وتعالى ﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ ومن رحمة الله سبحانه وتعالى لعباده أرسل اليهم مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبىّ يعلمون الناس نسخة الكيمياء ويعلمونهم كيف يجعلون القلب فى كور المجاهدة وكيف يطهرون القلب من الاخلاق المذمومة وكيف يؤدونه لطرق الصفاء كما قال سبحانه وتعالى ﴿ هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمة ﴾ أى يطهرهم من الاخلاق المذمومة ومن صفات البهائم ويجعل صفات الملائكة لباسهم وحليتهم ومقصود هذه

---

(١) الكيمياء صنعة تحويل بعض المعادن الى أحد النقدين وهنا اطلقها المؤلف قدس سره على تحويل الانسان من الخلق الردىء الى الطيب ولعمرى ان ذلك هو الاحق بالاسم كما لا يخفى على ذى البصيرة *

الكيمياء ان كل ما كان من صفات النقص يتعرى منه وكل مايكون من صفات الكمال يلبسه * وسرّ هذه الكيمياء ان ترجع من الدّنيا الى الله كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وتبتل اليه تبتيلا ﴾ وفضل هذه الكيمياء طويل *

﴿ فصل فى معرفة النفس ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس كما قال سبحانه وتعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتّى يتبين لهم انه الحق ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من عرف نفسه فقد عرف ربه ﴾ وليس شئ أقرب اليك من نفسك * فاذا لم تعرف نفسك فكيف تعرف ربك * فان قلت انى أعرف نفسى فانما تعرف الجسم الظاهر الذى هو اليد والرجل والرأس والجثة ولا تعرف مافى باطنك من الامر الذى به اذا غضبت طلبت الخصومة واذا اشتهيت طلبت النكاح واذا جعت طلبت الاكل واذا عطشت طلبت الشرب ، والدواب تشاركك فى هذه الامور فالواجب عليك ان تعرف نفسك بالحقيقة حتى تدرى أىّ شئ أنت ومن أين جئت الى هذا المكان ولاىّ شئ خلقت وباى شئ سعادتك وباى شئ شقاؤك * وقد جمعت فى باطنك صفات منها صفات البهائم ، ومنها صفات السباع ومنها صفات الملائكة * فالروح حقيقة جوهرك وغيرها غريب منك وعارية

عندك * فلو اجب عليك ان تعرف هذا و تعرف ان لكل واحد من هؤلاء غذاء وسعادة فان سعادة البهائم فى الاكل والشرب والنوم والنكاح فان كنت منهم فاجتهد فى اعمال الجوف والفرج * وسعادة السباع فى الضرب والفتك، وسعادة الشياطين فى المكر والشر والحيل فان كنت منهم فاشتغل باشتغالهم * وسعادة الملائكة فى مشاهدة جمال الحضرة الربوبية وليس للغضب والشهوة اليهم طريق * فان كنت من جوهر الملائكة فاجتهد فى معرفة أصلك حتى تعرف الطريق الى الحضرة الالهية وتبلغ الى مشاهدة الجلال والجمال وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب وتعلم ان هذه الصفات لاى شئ ركبت فيك فما خلقها الله تعالى لتكون اسيرها ولكن خلقها حتى تكون أسرك وتسخرها للسفر الذى قدامك وتجعل أحداها مركبك والآخرى سلاحك حتى تصيد بها سعادتك * فاذا بلغت غرضك فارم بها تحت قدمك وارجع الى مكان سعادتك وذلك المكان قرار خواص الحضرة الالهية * وقرار العوام درجات الجنة فتحتاج الى معرفة هذه المعانى حتى تعرف من نفسك شيئا قليلا * فكل من لم يعرف هذه المعانى فنصيبه من القشور لان الحق يكون عنه محجوبا *

﴿ فصل ﴾

اذا شئت ان تعرف نفسك ﴿ فاعلم ﴾ انك مركب من شيئين ﴿ الاول ﴾

هذا القالب ﴿ الثانى ﴾ يسمى النفس والروح - والنفس هو القلب الذى تعرفه بعين الباطن وحقيقتك الباطن لان الجسد اول وهو الآخر والنفس آخر وهو الاول. ويسمى قلبا وليس القلب هذه القطعة اللحمية التى فى الصدر من الجانب الايسر لانه يكون فى الدواب والموتى وكل شئ تبصره بعين الظاهر فهو من هذا العالم الذى يسمى عالم الشهادة * واما حقيقة القلب فليس من هذا العالم لكنه من عالم الغيب فهو فى هذا العالم غريب و تلك القطعة اللحمية مركبة وكل أعضاء الجسد عساكره وهو الملك * ومعرفة الله تعالى ومشاهدة جمال الحضرة صفاته والتكاليف عليه والخطاب معه، وله الثواب وعليه العقاب ، والسعادة والشقاء تلحقانه * والروح الحيوانى فى كل شيء تبعه ومعه * ومعرفة حقيقته ومعرفة صفاته مفتاح معرفة الله سبحانه وتعالى * فعليك بالمجاهدة حتى تعرفه لانه جوهر عزيز من جنس جوهر الملائكة * وأصل معدنه فى الحضرة الالهية من ذلك المكان جاء والى ذلك المكان يعود .

﴿ فصل ﴾

أما سؤالك ما حقيقة القلب فلم يجيء فى الشريعة أكثر من قول الله تعالى ﴿ و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ لان الروح جزء من جملة القدرة الالهية وهو من عالم الامر . قال الله عز وجل ﴿ ألا له الخلق والامر ﴾ فالانسان من عالم الخلق من جانب ومن عالم

الامر من جانب فكل شيء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق وليس للقلب مساحة ولا مقدار ولهذا لا يقبل القسمة ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق وكان من جانب الجهل جاهل ومن جانب العلم عالم، وكل شيء يكون فيه علم وجهل فهو محال * وفي معنى آخر هو من عالم الامر لان عالم الامر عبارة عن شيء من الاشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق اليه، وقد ظن بعضهم أن الروح قديم (١) فغلطوا * وقال قوم انه عرض فغلطوا لان العرض لا يقوم بنفسه ويكون تابعاً لغيره فالروح هو اصل ابن آدم وقالب ابن آدم تبع له فكيف يكون عرضاً (٢) وقال قوم انه جسم فغلطوا لان الجسم يقبل القسمة والروح لا يقبل القسمة وأن الروح الذى سميناه قلبا هو محل معرفة الله تعالى ليس بجسم ولا عرض بل هو من جنس الملائكة ومعرفة الروح صعبة جداً لانه لم يرد فى الدين طريق الى معرفته لانه لا حاجة فى الدين الى معرفته لان الدين هو المجاهدة والمعرفة علامة الهداية كما قال سبحانه وتعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ومن لم يجتهد حق اجتهاده لم يجز أن يتحدث معه فى معرفة حقيقة

---

(١) لعل القائل بذلك نظر الى الاصل الاصيل *

(٢) ولذا قال بعض الحكماء ينبغى أن نقول إن النفس حامل البدن لا ان البدن حامل النفس على ماهو المشهور *

الروح . وأول أس المجاهدة أن تعرف عسكر القلب لان الانسان اذا لم يعرف العسكر لم يصح له الجهاد *

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن النفس مركب القلب وللقلب عساكر كما قال سبحانه وتعالى ﴿ ومايعلم جنود ربك الا هو ﴾ والقلب مخلوق لعمل الآخرة طلبا لسعادته * وسعادته معرفة ربه عز وجل ومعرفة ربه تعالى يحصل له من صنع الله وهو من جملة عالمه ولاتحصل له معرفة عجائب العالم الا من طريق الحواس والحواس من القالب والقالب مركبه * ثم معرفة صيده ومعرفة شبكته * والقالب لا يقوم الابالطعام والشراب والحرارة والرطوبة * وهو ضعيف على خطر من الجوع والعطش فى الباطن * وعلى خطر من الماء والنار فى الظاهر وهو مقابل أعداء كثيرة *

﴿ فصل ﴾

وتحتاج أن تعرف العسكرين وذلك أن العسكر الظاهر هو الشهوة والغضب ومنازلهم فى اليدين والرجلين والعينين والاذنين وجميع الاعضاء * وأما العسكر الباطن فمنازله فى الدماغ وهو قوى الخيال والتفكر والحفظ والتذكر والوهم ولكل قوة من هذه القوة عمل خاص فان ضعف واحد منهم ضعف حال ابن آدم فى الدارين وجملة هذين العسكرين فى القلب وهو أميرهما فان أمر اللسان أن يذكر

ذكروان امر اليد أن تبطش بطشت وان أمر الرجل أن تسعى سعت * وكذلك الحواس الخمس حتى يحفظ نفسه كيما يدخر الزاد للدار الآخرة ويحصل الصيد وتتم التجارة ويجمع بذر السعادة * وهؤلاء طائعون للقلب كما ان الملائكة طائعون للرب سبحانه وتعالى لا يخالفون أمره *

﴿ فصل فى معرفة القلب وعسكره ﴾

﴿ اعلم ﴾ انه قيل فى المثل ان النفس كالمدينة واليدين والقدمين وجميع الاعضاء ضياعها والقوة الشهوانية واليها والقوة الغضبية شحنتها ، والقلب ملكها * والعقل وزيرها والملك يدبرهم حتى تستقر مملكته وأحواله لان الوالى وهو الشهوة كذاب فضولى مخلط * والشحنة وهو الغضب شرير قتال خراب فان تركهم الملك على ما هم عليه هلكت المدينة وخربت فيجب أن يشاور الملك الوزير ويجعل الوالى والشحنة تحت يد الوزير فاذا فعل ذلك استقرت أحوال المملكة وتعمرت المدينة وكذلك القلب يشاور العقل ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه حتى تستقر أحوال النفس ويتصل الى سبب السعادة من معرفة الحضرة الالهية ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة هلكت نفسه وكان قلبه شقيا فى الآخرة *

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم أن الشهوة والغضب خادمان للنفس جاذبان يحفظان امر الطعام والشراب والنكاح لحمل الحواس * ثم النفس خادم الحواس والحواس شبكة العقل وجواسيسه يبصر بها صنائع البارى جلت قدرته ثم الحواس خادم العقل وهو للقلب سراج وشمعة يبصر بنوره الحضرة الالهية لان الجنة التى هى نصيب الجوف أو الفرج محتقرة فى جنب تلك الجنة * ثم العقل خادم القلب والقلب مخلوق انظر جمال الحضرة الالهية * فمن اجتهد فى هذه الصفة فهو عبد حق من غلمان الحضرة كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ معناه انا خلقنا القلب وأعطيناه الملك والعسكر وجعلنا النفس مركبه حتى يسافر عليه من عالم التراب الى أعلى عليين * فاذا أراد أن يؤدى حق هذه النعمة جلس مثل السلطان فى صدر مملكته وجعل الحضرة الالهية قبلته ومقصده وجعل الآخرة وطنه وقراره والنفس مركبه والدنيا منزله واليدين والقدمين خدامه * والعقل وزيره والشهوة عامله والغضب شحنته والحواس جواسيسه وكل واحد موكل بعالم من العوالم يجمع له احوال العوالم * وقوة الخيال فى مقدم الدماغ كالنقيب يجمع عنده اخبار الجواسيس * وقوة الحفظ فى وسط الدماغ مثل صاحب الخريطة يجمع الرقاع من يد النقيب ويحفظها الى أن

يعرضها على العقل فاذا بلغت هذه الاخبار الى الوزير يرى احوال المملكة على مقتضاها ــ فاذا رأيت واحداً منهم قد عصى عليك مثل الشهوة والغضب فعليك بالمجاهدة ولا تقصد قتلهما لان المملكة لا تستقر الا بهما * فاذا فعلت ذلك كنت سعيداً واديت حق النعمة ووجبت لك الخلعة فى وقتها والا كنت شقياً ووجب عليك النكال والعقوبة *

﴿ فصل ﴾

تمام السعادة على ثلاثة اشياء قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العلم فيحتاج ان يكون امرها متوسطا لئلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه الى الرخص فيهلك او تزيد قوة الغضب فتخرجه الى الحمق فيهلك فاذا توسطت القوتان باشارة قوة العدل دلّ على طريق الهداية ــ وكذلك ان الغضب اذا زاد سهل عليه الضرب والقتل واذا نقص ذهبت الغيرة والحمية فى الدين والدنيا واذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة وكذا الشهوة اذا زادت كان الفسق والفجور وان نقصت كان العجز والفتور ــ وان توسطت كان العفة والقناعة وامثال ذلك *

﴿ فصل ﴾

﴿اعلم﴾ ان للقلب مع عسكره أحوالا وصفات بعضها يسمى أخلاق السوء وبعضها اخلاق الحسن فبالاخلاق السعادة يبلغ درجة السعادة

وبالاخلاق السوء هلاكه وخروجه للشقاء وهذه كلها تبلغ اربعة أجناس أخلاق الشياطين وأخلاق البهائم ،وأخلاق السباع واخلاق الملائكة * فاعمال السوء من الاكل والشرب والنوم والنكاح وهى أخلاق البهائم وكذلك أعمال الغضب من الضرب والقتل والخصومة وهى أخلاق السباع وكذلك اعمال النفس وهى المكر والحيلة والغش وغير ذلك وهى أخلاق الشياطين ـ وكذلك أعمال العقل التى هى الرحمة والعلم والخير وهى أخلاق الملائكة *

﴿ فصل ﴾

﴿ واعلم ﴾ أن فى جلد ابن آدم أربعة أشياء الكلب والخنزير والشيطان والملك * والكلب مذموم فى صفاته وليس بمذموم فى صورته ـ وكذلك الشيطان والملائكة ذمهم ومدحهم فى صفاتهم وليس ذلك فى صورهم وخلقهم وكذلك الخنزير مذموم فى صفاته وليس بمذموم فى خلقته ـ وقد أمر ابن آدم بان يكشف ظلم الجهل بنور العقل خوفا من الفتنة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ مامن أحد الا وله شيطان ولى شيطان وان الله قد أعانني على شيطانى حتى ملكته ﴾ وكذلك الشهوة والغضب ينبغى أن يكونا تحت يد العقل فلا يفعلان شيئاً الا بأمره فان فعل ذلك صح له حسن الاخلاق وهى صفات الملائكة وهى بذر السعادة وان عمل بخلاف ذلك فخدم الشهوة

والغضب صح له الاخلاق القبيحة وهى صفات الشياطين وهو بذر الشقاء فيتبين له فى نومه كانه قائم مشدود الوسط يخدم الكلب والخنزير وكان مثله كمثل رجل مسلم يأخذ رجالا مسلمين يحبسهم عند كافرين فكيف يكون حالك يوم القيامة اذا حبست الملك وهو العقل تحت يد الشهوة والغضب وهما الكلب والخنزير *

﴿ فصل ﴾

﴿ واعلم ﴾ أن الانسان فى صورة ابن آدم اليوم وغداً تنكشف له المعانى فتكون الصور فى معنى المعانى * فأما الذى غلب عليه الغضب فيقوم فى صورة الكلب * وأما الذى غلب عليه الشهوة فيقوم فى صورة الخنزير لان الصور تابعة للمعانى وانما يبصر النائم فى نومه ماصح فى باطنه * واذا عرفت أن الانسان فى باطنه هذه الاربعة فيجب أن يراقب حركاته وسكناته ويعرف من أىّ الاربعة هو فان صفاته تحصل فى قلبه وتبقى معه الى يوم القيامة وأن بقى معه من جملة الباقيات الصالحات شىء فهو بذر السعادة وان بقى معه غير ذلك فهو بذر الشقاء * وابن آدم لاينفك ولاينفصل عن حركة أو سكون وقلبه مثل الزجاج وأخلاق السوء كالدخان والظلمة فاذا وصل اليه ذلك أظلم عليه طريق السعادة * وأخلاق الحسن كالنور والضوء فاذا وصل الى القلب طهره من ظلم المعاصى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ اتبع السيئة الحسنة تمحها ﴾ والقلب إما مضىء أو مظلم ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم *

﴿ فصل ﴾

﴿ واعلم ﴾ أن الشهوة والغضب التى فى البهائم جعلت أيضاً فى ابن آدم ولكنه أعطى شيئاً آخر زيادة عليها للشرف والكمال وبذلك تحصل له معرفة الله تعالى وجملة عجائب صنعه وبه يخلص نفسه من يد الشهوة والغضب وتحصل له صفات الملائكة ولذلك يظفر بالسباع والبهائم وتصير كلها مسخرة له كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا ﴾

﴿ فصل فى عجائب القلب ﴾

اعلم أن له بابين للعلوم واحد للاحلام والثانى لعالم الاستيقاظ وهو الباب الظاهر الى الخارج فان نام غلق باب الحواس فيستفتح له باب الباطن ويكشف له غيب من عالم الملكوت ومن اللوح المحفوظ فيكون مثل الضوء وربما احتاج كشفه الى شىء من تعبير الاحلام * وأما ما كان من الظاهر فيظن الناس أن به الاستيقاظ وأن الاستيقاظ أولى بالمعرفة مع انه لا يبصر فى اليقظة شىء من عالم الغيب وما يبصر بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة مما يبصر من طريق الحواس *

﴿ فصل ﴾

ونحتاج أن نعرف فى ضمن ذلك ان القلب مثل المرآة واللوح المحفوظ مثل المرآة أيضاً لان فيه صورة كل موجود واذا قابلت المرآة المرآة الاخرى حلّت صور ما فى أحداهما فى الاخرى وكذلك تظهر صور ما فى اللوح المحفوظ الى القلب اذا كان فارغا من شهوات الدنيا فان كان مشغولا بها كان عالم الملكوت محجوبا عنه وان كان فى حال النوم فارغا من علائق الحواس طالع جواهر عالم الملكوت فظهر فيه بعض الصور التى فى اللوح المحفوظ واذا غلق باب الحواس كان بعده الخيال لذلك يكون الذى يبصره تحت ستر القشر وليس كالحق الصريح مكشوفا فاذا مات أى القلب بموت صاحبه لم يبق خيال ولا حواس وفى ذلك الوقت يبصر بغير وهم وغير خيال ويقال له ﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ واعلم ﴾ أنه ما من احد الا ويدخل فى قلبه الخاطر المستقيم وبيان الحق على سبيل الالهام وذلك لا يدخل من طريق الحواس بل يدخل فى القلب لا يعرف من أين جاء لان القلب من عالم الملكوت والحواس مخلوقة لهذا العالم ولذلك يكون حجابه عن مطالعة ذلك العالم اذا لم يكن فارغا من شغل الحواس *

﴿ فصل ﴾

ولا تظنن ان هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة وتخلص من يد الشهوة والغضب والاخلاق القبيحة والاعمال الرديئة فاذا جلس فى مكان خال وعطل طريق الحواس وفتح عين الباطن وسمعه وجعل القلب فى مناسبة عالم الملكوت وقال دائما ﴿ الله الله الله ﴾ بقلبه دون لسانه الى أن يصير لا خبر معه من نفسه ولا من العالم ويبقى لا يرى شيئا الا الله سبحانه وتعالى انفتحت تلك الطاقة وابصر فى اليقظة الذى يبصره فى النوم فتظهر له ارواح الملائكة والانبياء والصور الحسنة الجميلة الجليلة وانكشف له ملكوت السموات والارض ورأى مالا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها﴾ وقال الله عز وجل ﴿ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض﴾ لان علوم الانبياء عليهم السلام كلها كانت من هذا الطريق لا من طريق الحواس كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ﴾ معناه الانقطاع عن كل شيء وتطهير القلب من كل شيء والابتهال اليه سبحانه وتعالى بالكلية وهو طريق الصوفية فى هذا الزمان * واما طريق التعليم فهو طريق العلماء * وهذه الدرجة الكبيرة مختصرة من طريق النبوة وكذلك علم الاولياء لانه وقع فى

قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وآتيناه من لدنا علما ﴾ وهذه الطريقة لا تفهم الا بالتجربة وان لم تحصل بالذوق لم تحصل بالتعليم والواجب التصديق بها حتى لا يحرم شعاع سعادتهم وهو من عجائب القلب ومن لم يبصر لم يصدق كما قال سبحانه وتعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ وقوله ﴿ واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ﴾

﴿ فصل ﴾

ولا تحسب ان هذا خاص بالانبياء والاولياء لان جوهر ابن آدم فى اصل الخلقة موضوع لهذا كالحديد لان يعمل منه مرآة ينظر فيها صورة العالم الا الذى صدأ فيحتاج الى اجلاء او جُرِبَ فيحتاج الى صقل او سبك لانه قد تلف وكذلك كل قلب اذا غلب عليه الشهوات والمعاصى لم يبلغ هذه الدرجة وان لم تغلب عليه بلغ تلك الدرجة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ كل مولود يولد على فطرة الاسلام ﴾ وقال الله تعالى ﴿ واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ﴾ وكذلك بنو آدم فى فطرتهم التصديق بالربوبية كما قال سبحانه وتعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ والانبياء والاولياء هم بنو آدم قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قل انما انا بشر مثلكم ﴾ فكل من ذرع حصد ومن مشى وصل

ومن طلب وجد والطلب لايحصل الا بالمجاهدة ـ وطلب شيخ بالغ عارف قد مشى فى هذا الطريق * واذا حصل هذان الشيئان لاحد فقد اراد الله له التوفيق والسعادة بحكم ازلىّ حتى يبلغ الى هذه الدرجة

﴿ فصل ﴾

فى ان اللذة والسعادة لابن آدم معرفة الله سبحانه وتعالى *

﴿ اعلم ﴾ ان سعادة كل شىء لذته وراحته ولذة كل شىء تكون بمقتضى طبعه، وطبع كل شىء ماخلق له * فان لذة العين فى الصور الحسنة * ولذة الاذن فى الاصوات الطيبة وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى لانه مخلوق لها وكل مالم يعرفه ابن آدم اذا عرفه فرح به مثل الشطرنج اذا عرفها فرح بها ولو نهى عنها لم يتركها ولا يبقى له عنها صبر وكذلك اذا وقع فى معرفة لله سبحانه وتعالى فرح بها ولم يصبر عن المشاهدة لان لذة القلب المعرفة، وكلما كانت المعرفة اكبر كانت اللذة اكبر ولذلك فان الانسان اذا عرف الوزير فرح ولو علم الملك لكان أعظم فرحاً وليس موجود أشرف من الله سبحانه وتعالى لان شرف كل موجود به ومنه *وكل عجائب العالم آثار صنعته فلا معرفة أعزّ من معرفته، ولا لذة أعظم من لذة معرفته وليس منظر أحسن من منظر حضرته وكل لذات شهوات الدنيا متعلقة بالنفس وهى تبطل بالموت

ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب فلا تبطل بالموت لان القلب لا يهلك بالموت بل تكون لذته أكثر وضوءه أكبر لانه خرج من الظلمة الى الضوء *

* فصل *

(واعلم) ان نفس ابن آدم مختصرة من العالم وفيها من كل صورة في العالم أثر منه لان هذه العظام كالجبال ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ورأسه مثل السماء وحواسه مثل الكواكب، وتفصيل ذلك طويل * وأيضاً فان في باطنه صناع العالم لان القوة التي في المعدة كالطباخ، والتي في الكبد كالخباز، والتي في الامعاء كالقصار، والذي يبيض اللبن ويحمر الدم كالصباغ، وشرح ذلك طويل * والمقصود ان تعلم كم في باطنك من عوالم مختلفة كلهم مشغولون بخدمتك وأنت في غفلة عنهم وهم لا يستريحون ولا تعرفهم أنت ولا تشكر من أنعم عليك بهم

* فصل *

في معرفة تركيب الجسد ومنافع الاعضاء التي يقال في علم التشريح وهو علم عظيم والخلق غافلون عنه وكذلك علم الطب فكل من أراد أن ينظر في نفسه وعجائب صنع الله تعالى فيها يحتاج الى معرفة ثلاثة أشياء من الصفات الالهية (الاولى) أن يعرف أن خالق هذا الشخص قادر على الكمال وليس بعاجز وهو الله سبحانه وتعالى

وليس عمل فى العالم باعجب من خلق الانسان من ماء مهين وتصوير هذا الشخص بهذه الصورة العجيبة كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه ﴾ فاعادته بعد الموت أهون عليه لان الاعادة أسهل من الابتداء ﴿ الثانية ﴾ معرفة علمه سبحانه وتعالى وانه محيط بالاشياء كلها لان هذه العجائب والغرائب لا تمكن الا بكمال العلم ﴿ الثالثة ﴾ ان تعلم ان لطفه ورحمته وعنايته متعلقة بالاشياء كلها وانها لا نهاية لها لما ترى فى النبات والحيوان والمعادن من سعة القدرة وحسن الصور والالوان *

﴿ فصل ﴾

فى تفصيل خلقة بنى آدم لانها مفتاح معرفة الصفات الالهية وهو علم شريف وذلك معرفة عجائب الصنائع الالهية ومعرفة عظم الله سبحانه وتعالى وقدرته وهو مختصر معرفة القلب وهو علم شريف اذ هو معرفة الصنائع الالهية لان النفس كالفرس، والعقل كالراكب ومجموعهما الفارس، ومن لم يعرف نفسه وهو يدّعى معرفة غيره فهو كالرجل المفلس الذى ليس له طعام لنفسه وهو يدّعى انه يقوت فقراء المدينة فهذا محال *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت هذا العز والشرف والكمال والجمال والجلال بعد أن عرفت جوهر القلب وأنه جوهر عزيز قد وُهب لك وبعد ذلك خفى

عنك فان لم تطلبه وغفلت عنه وضيعته كان ذلك حسرة عظيمة عليك يوم القيامة * فاجتهد فى طلبه واترك اشغال الدنيا كلها ، وكل شرف لم يظهر فى الدنيا فهو فى الآخرة فرح بلا غم وبقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز ومعرفة بلا جهل وجمال وجلال عظيمان وأما اليوم فليس شئ أعجز منه لانه مسكين ناقص وانما الشرف غدا اذا طرح من هذه الكيمياء على جوهر قلبه حتى يخلص منه شبه البهائم ويبلغ درجة الملائكة فان رجع الى شهوات الدنيا فضلت عليه البهائم يوم القيامة لانهم يصيرون الى التراب ويبقى هو فى العذاب نعوذ بالله من ذلك ونستجير به وهو نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين * ﴿تمت﴾

الرسالة اللدنية

﴿ لحجة الاسلام أبي حامد محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى زين قلوب خواص عباده بنور الولاية * وربّى أرواحهم بحسن العناية * وفتح باب التوحيد على العلماء العارفين بمفتاح الدراية * وأصلّى وأسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين صاحب الدعوة و الرعاية * ودليل الامة الى الهداية * وعلى آله سكان حرم الحماية * اعلم أن واحدا من أصدقائى حكى عن بعض العلماء أنه انكر العلم الغيبي اللدنى الذى يعتمد عليه خواص المتصوفه * وينتمى اليه أهل الطريقة ويقولون إن العلم اللدنى أقوى وأحكم من العلوم المكتسبه المحصلة بالتعلم وحكى أن ذلك المدعى يقول بانى لا أقدر على تصور علم الصوفيه * ولا أظن أن أحدا فى العالم يتكلم فى العلم الحقيقى من فكر وروية دون تعلم وكسب * فقلت كأنه ما اطلع على طرق التحصيل وما درى أمر النفس الانسانية وصفاتها وكيفية قبولها لآثار

الغيب وعلم الملكوت * فقال صديقي نعم ان ذلك الرجل يقول بان العلم هو الفقه وتفسير القرآن والكلام حسب * وليس وراءها علم وهذه العلوم لا تتحصل الا بالتعلم والتفقه * فقلت نعم فكيف يعلم علم التفسير فان القرآن هو البحر المحيط المشتمل على جميع الاشياء وليس جميع معانيه وحقائق تفسيره مذكورة في هذه التصانيف المشهورة بين العوام بل التفسير غير ما يعلم ذلك المدعى * فقال ذلك الرجل لا يعد التفاسير الا التفاسير المعروفة المذكورة المنسوبة الى القشيرى والثعلبى والماوردى وغيرهم * فقلت لقد بعد عن منهج الحقيقة فان السلمى جمع شيئا في التفسير من كلمات المحققين شبه التحقيق وتلك الكلمات غير مذكورة في سائر التفاسير . وذلك الرجل الذى لا يعد العلم الا الفقه والكلام وهذا المفسر العامى كانه ما علم أقسام العلوم وتفاصيلها ومراتبها وحقائقها وظواهرها وبواطنها * وقد جرت العادة بأن الجاهل بالشيء ينكر ذلك الشيء وذلك المدعى ماذاق شراب الحقيقة وما اطلع على العلم اللدنى فكيف يقر بذلك ولا أرضى باقراره تقليدا أو تخمينا مالم يعرف * فقال ذلك الصديق أريد أن تذكر طرفا من مراتب العلوم وتصحح هذا العلم وتعزيه أنت لنفسك وتقر على اثباته * فقلت ان هذا المطلوب بيانه عسير جدا لكن أشرع في مقدماته بحسب اقتضاء حالى وموافقة وقتى وما سنح بخاطرى ولا

أريد تطويل الكلام فان خير الكلام ماقل ودل * وسألت الله عز وجل التوفيق والاعانة * وذكرت مطلوب صديقى الفاضل فى هذا المفضول *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن العلم تصور النفس الناطقة المطمئنة حقائق الاشياء وصورها المجردة عن المواد باعيانها وكيفياتها وكمياتها وجواهرها وذواتها ان كانت مفردة * والعالم هو المحيط المدرك المتصور والمعلوم هو ذات الشيء الذى ينتقش علمه فى النفس * وشرف العلم على قدر شرف معلومه * ورتبة العالم تكون بحسب رتبة العلم . ولا شك أن أفضل المعلومات وأعلاها وأشرفها وأجلها هو الله الصانع المبدع الحق الواحد * فعلمه وهو علم التوحيد أفضل العلوم وأجلها وأكملها وهذا العلم ضرورى واجب تحصيله على جميع العقلاء كما قال صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ﴾ وأمر بالسفر فى طلب هذا العلم فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اطلبوا العلم ولو بالصين ﴾ وعالم هذا العلم أفضل العلماء * وبهذا السبب خصهم الله تعالى بالذكر فى أجل المراتب فقال ﴿ شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم ﴾ فعلماء علم التوحيد بالاطلاق هم الانبياء وبعدهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء * وهذا العلم وان كان شريفا فى ذاته كاملا فى

نفسه لا ينفى سائر العلوم بل لا يحصل الا بمقدمات كثيرة وتلك المقدمات لا تنتظم إلا من علوم شتى مثل علم السموات والافلاك وعلم جميع المصنوعات ويتولد من علم التوحيد علوم أخر كما سنذكر أقسامها فى مواضعها * فاعلم أن العلم شريف بذاته من غير نظر الى جهة المعلوم حتى أن علم السحر شريف بذاته وان كان باطلا * وذلك أن العلم ضد الجهل والجهل من لوازم الظلمة والظلمة من حيز السكون والسكون قريب من العدم ويقع الباطل والضلالة فى هذا القسم * فاذا الجهل حكمه حكم العدم والعلم حكمه حكم الوجود * والوجود خير من العدم * والهداية والحق والنور كلها فى سلك الوجود * فاذا كان الوجود أعلى من العدم فالعلم أشرف من الجهل فان الجهل مثل العمى والظلمة * والعلم مثل البصر والنور * وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور * وصرح سبحانه بهذه الاشارات فقال ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ فاذا كان العلم خيرا من الجهل والجهل من لوازم الجسم والعلم من صفات النفس فالنفس أشرف من الجسم * وللعلم أقسام كثيرة نحصيها فى فصل آخر * وللعالم فى طلب العلم طرق عديدة نذكرها فى فصل آخر * والآن لا يتعين عليك بعد معرفة فضل العلم الا معرفة النفس التى هى لوح العلوم ومقرها ومحلها وذلك ان الجسم ليس بمحل للعلم لان الاجسام متناهية ولا

تسع كثرة العلوم بل لا تحتمل الا النقوش والرقوم * والنفس قابلة لجميع العلوم من غير ممانعة ولا مزاحمة وملال وزوال * ونحن نتكلم في شرح النفس على سبيل الاختصار *

﴿ فصل في شرح النفس والروح الانساني ﴾

اعلم أن الله تعالى خلق الانسان من شيئين مختلفين أحدهما الجسم المظلم الكثيف الداخل تحت الكون والفساد المركب المؤلف الترابي الذي لا يتم أمره الا بغيره * والآخر هو النفس الجوهري المفرد المنير المدرك الفاعل المحرك المتمم للآلات والاجسام * والله تعالى ركب الجسد من أجزاء الغذاء ورباه بأجزاء الرماد * ومهد قاعدته وسوى أركانه وعين أطرافه وأظهر جوهر النفس من أمره الواحد الكامل المكمل المفيد ولا أعني بالنفس القوة الطالبة للغذاء ولا القوة المحركة للشهوة والغضب ولا القوة الساكنة في القلب المولدة للحياة والمبرزة للحس والحركة من القلب الى جميع الاعضاء فان هذه القوة تسمى روحا حيوانيا * والحس والحركة والشهوة والغضب من جنده وتلك القوة الطالبة للغذاء الساكنة في الكبد بالتصرف يقال لها روحا طبيعيا * والهضم والدفع من صفاتها والقوة المصورة والمولدة والنامية وباقي القوى المنطبعة كلها خدام للجسد والجسد خادم الروح الحيواني لانه يقبل القوى عنه ويعمل بحسب تحريكه * وانما

أعنى بالنفس ذلك الجوهر الكامل الفرد الذى ليس من شأنه الا التذكر والتحفظ والتفكر والتمييز والروية * ويقبل جميع العلوم ولا يمل من قبول الصور المجردة المعراة عن المواد * وهذا الجوهر رئيس الارواح وأمير القوى * والكل يخدمونه ويمتثلون أمره * وللنفس الناطقة أعنى هذا الجوهر عند كل قوم اسم خاص * فالحكماء يسمون هذا الجوهر النفس الناطقة * والقرآن يسميه النفس المطمئنة والروح الامرى، والمتصوفة تسميه القلب والخلاف فى الاسامى والمعنى واحد لا خلاف فيه * فالقلب والروح عندنا والمطمئنة كلها أسامى النفس الناطقة * والنفس الناطقة هى الجوهر الحى الفعال المدرك * وحيثما نقول الروح المطلق أو القلب فانما نعنى به هذا الجوهر * والمتصوفة يسمون الروح الحيوانى نفسا * والشرع ورد بذلك * فقال أعدى عدوك نفسك * وأطلق الشارع اسم النفس بل أكدها بالاضافة * فقال نفسك التى بين جنبيك * وانما أشار بهذه اللفظة الى القوة الشهوانية والغضبية فانهما ينبعثان عن القلب الواقف بين الجنبين * فاذا عرفت فرق الاسامى فاعلم أن الباحثين يعبرون عن هذا الجوهر النفيس بعبارات مختلفة ويرون فيه آراء متفاوتة * والمتكلمون المعروفون بعلم الجدل يعدون النفس جسما ويقولون انه جسم لطيف بأزاء هذا الجسم الكثيف. ولا يرون الفرق بين الروح

والجسد الا باللطافة والكثافة * وبعضهم يعد الروح عرضا * وبعض الأطباء يميل الى هذا القول * وبعضهم يرى الدم روحا ـ وكلهم قنعوا بقصور نظرهم على تخيلهم وما طلبوا القسم الثالث * واعلم ان الاقسام ثلاثة الجسم والعرض والجوهر الفرد * فالروح الحيوانى جسم لطيف كانه سراج مشتعل موضوع فى زجاجة القلب اعنى ذلك الشكل الصنوبرى المعلق فى الصدر * والحياة ضوء السراج والدم دهنه والحس والحركة نوره والشهوة حرارته والغضب دخانه والقوة الطالبة للغذاء الكائنة فى الكبد خادمه وحارسه ووكيله ـ وهذا الروح يوجد عند جميع الحيوانات * والانسان هو جسم وآثاره أعراض * وهذا الروح لا يهتدى الى العلم ولا يعرف طريق المصنوع ولا حق الصانع * وانما هو خادم أسير يموت بموت البدن * لو يزيد الدم ينطفى ذلك السراج بزيادة الحرارة ولو ينقص ينطفئ بزيادة البرودة * وانطفاؤه سبب موت البدن وليس خطاب البارى سبحانه ولا تكليف الشارع لهذا الروح لان البهائم وسائر الحيوانات غير مكلفين ولا مخاطبين بأحكام الشرع * الانسان انما يكلف ويخاطب لاجل معنى آخر وجد عنده زائداً خاصا به * وذلك المعنى هو النفس الناطقة والروح المطمئنة وهذا الروح ليس بجسم ولا عرض لانه من أمر الله تعالى كما قال ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ وقال ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك

راضية مرضية ﴾ وأمر البـارى تعالى ليس بجسم ولا عرض بل قوة الهية مثل العقل الاول واللوح والقلم وهى الجواهر المفردة المفارقة للمواد بل هى أضواء مجردة معقولة غير محسوسة* والروح والقلب بلساننا من قبل تلك الجواهر ولا يقبل الفساد ولا يضمحل ولا يفنى ولا يموت بل يفارق البدن وينتظر العود اليه فى يوم القيامة كما ورد فى الشرع وقد صح فى العلوم الحكمية بالبراهين القاطعة * والدلائل الواضحة ان الروح الناطق ليس بجسم ولا عرض بل هو جوهر ثابت دائم غير فاسد* ونحن نستغنى عن تكرير البرهان وتعديد الدلائل لانها مقررة مذكورة . فمن أراد تصحيحها فليرجع الى الكتب اللائقة بذلك الفن . فاما فى طريقنا فلايتأتى بالبرهان بل نعول على العيان ونعتمد على رؤية الايمان ـ ولما أضاف الله تعالى الروح الى أمره وتارة الى عزته فقال ﴿ فنفخت فيه من روحى ﴾ وقال ﴿ قل الروح من أمر ربّى ﴾ وقال ﴿ ونفخنا فيه من روحنا ﴾ والله تعالى أجل من أن يضيف الى نفسه جسما أو عرضا لخستهما وتغيرهما وسرعة زوالهما وفسادهما * والشارع صلى الله عليه وسلم قال ﴿ الارواح جنود مجندة ﴾ وقال ﴿ أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر ﴾ والعرض لا يبقى بعد فناء الجوهر لانه لا يقوم بذاته * والجسم يقبل التحليل كما قبل التركيب من المادة والصورة كما هو مذكور فى الكتب * فلما وجدنا هذه

الآيات والاخبار والبراهين العقلية علمنا أن الروح جوهر فرد كامل حيّ بذاته يتولد منه صلاح الدين وفساده * والروح الطبيعي والحيواني وجميع القوى البدنية كلها من جنوده . وأن هذا الجوهر يقبل صور المعلومات وحقائق الموجودات من غير اشتغال بأعيانها وأشخاصها فان النفس قادرة على أن تعلم حقيقة الانسانية من غير أن ترى انساناً كما انها علمت الملائكة والشياطين * وما احتاجت الى رؤية أشخاصها اذ لا ينالهما حواس أكثر الناس * وقال قوم من المتصوفة أن للقلب عينا كما للجسد فيرى الظواهر بالعين الظاهرة * ويرى الحقائق بعين العقل * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ مامن عبد الا ولقلبه عينان ﴾ وهما عينان يدرك بهما الغيب فاذا أراد الله تعالى بعبد خيراً فتح عيني قلبه ليرى ماهو غائب عن بصره * وهذا الروح لا يموت بموت البدن لان الله تعالى يدعوه الى بابه فيقول ﴿ ارجعي الى ربك ﴾ وانما هو يفارق ويعرض عن البدن فمن أعراضه تتعطل احوال القوى الحيوانية والطبيعية فيسكن المتحرك فيقال لذلك السكون موتا وأهل الطريقة أعني الصوفية يعتمدون على الروح والقلب أكثر اعتمادا منهم على الشخص * واذا كان الروح من أمر البارى تعالى فيكون في البدن كالغريب ويكون وجهه الى أصله ومرجعه . فينال الفوائد من جانب الاصل أكثر مما ينال من جهة الشخص اذا قوى

ولم يدنس بادناس الطبيعة * واذا علمت أن الروح جوهر فرد وعلمت أن الجسد لا بد له من المكان والعرض لا يبقى الا بالجوهر * فاعلم ان هذا الجوهر لا يحل فى محل ولا يسكن فى مكان وليس البدن مكان الروح ولا محل القلب بل البدن آلة الروح وأداة القلب ومركب النفس والروح ذاته غير متصل باجزاء البدن ولا منفصل عنه بل هو مقبل على البدن مفيد له مفيض عليه * وأول ما يظهر نوره على الدماغ لأن الدماغ مظهره الخاص اتخذ من مقدمه حارسا ومن وسطه وزيرا ومدبرا ومن آخره خزانة وخازنا . ومن جميع الاجزاء رجالا وركبانا * ومن الروح الحيوانى خادما ومن الطبيعى وكيلا . ومن البدن مركبا . ومن الدنيا ميدانا . ومن الحياة بضاعة ومالا . ومن الحركة تجارة . ومن العلم ربحا . ومن الآخرة مقصدا ومرجعا ومن الشرع طريقة ومنهجا ومن النفس الأمارة حارسا ونقيبا . ومن اللوامة منبها * ومن الحواس جواسيس وأعوانا . ومن الدين درعا . ومن العقل استاذا ومن الحس تلميذا . والرب سبحانه ومن وراء هذه كلها بالمرصاد * والنفس بهذه الصفة مع هذه الآلة ما أقبلت على هذا الشخص الكثيف وما اتصلت بذاته بل تنيله الافادة ووجهها الى بارئها وأمر بارئها بالاستفادة الى أجل مسمى * فالروح لا يشتغل فى مدة هذا السفر الا بطلب العلم لأن العلم يكون حليته فى دار الآخرة لان حلية المال والبنين زينة حياة

الدنيا فكما ان العين مشغولة برؤية المنظورات. والسمع مواظب على استماع الاصوات . واللسان مستعد لتركيب الاقوال . والروح الحيوانى مريد للذات الغضبية . والروح الطبيعى محب للذات الاكل والشرب والروح المطمئنة أعنى القلب لا يريد الا العلم ولا يرضى الا به ويتعلم طول عمره . ويتحلى بالعلم جميع أيامه الى وقت مفارقته . ولو قبل أمراً آخر دون العلم فانما يقبل عليه لمصلحة البدن لا لمراد ذاته ومحبة أصله * فاذا علمت أحوال الروح ودوام بقائه وعشقه للعلم وشغفه به فيجب عليك ان تعلم أصناف العلم فانها كثيرة ونحن نحصيها بالاختصار *

﴿ فصل فى أصناف العلم وأقسامه ﴾

اعلم أن العلم على قسمين * أحدهما شرعى والآخر عقلى وأكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها * وأكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾

﴿ أما القسم الأول ﴾ وهو العلم الشرعى فينقسم الى نوعين ﴿ أحدهما ﴾ فى الاصول وهو علم التوحيد * وهذا العلم ينظر فى ذات الله تعالى وصفاته القديمة وصفاته الفعلية وصفاته الذاتية المتعددة بالأسامى على الوجه المذكور * وينظر أيضاً فى أحوال الانبياء والأئمة من بعدهم والصحابة . وينظر فى احوال الموت والحياة وفى احوال القيامة والبعث والحشر والحساب ورؤية الله تعالى

وأهل النظر فى هذا العلم يتمسكون اولا بآيات الله تعالى من القرآن . ثم بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم بالدلائل العقلية والبراهين القياسية * وأخذوا مقدمات القياس الجدلى والعنادى ولو احقهما من أصحاب المنطق الفلسفى * ووضعوا أكثر الالفاظ فى غير مواضعها . ويعبرون فى عباراتهم بالجوهر والعرض والدليل والنظر والاستدلال والحجة . ويختلف معنى كل لفظة من هذه الالفاظ عند كل قوم حتى إن الحكماء يعنون بالجوهر شيئاً * والصوفية يعنون شيئاً آخر * والمتكلمون شيئاً وعلى هذا المثال * وليس المراد فى هذه الرسالة تحقيق معانى الالفاظ على حسب آراء القوم . فلا نشرع فيها * وهؤلاء القوم مخصوصون بالكلام فى الأصول وعلم التوحيد ولقبهم المتكلمون فان اسم الكلام اشتهر على علم التوحيد . ومن علم الأصول التفسير فان القرآن من أعظم الاشياء وأبينها وأجلها وأعزها * وفيه من المشكلات الكثيرة مالا يحيط بها كل عقل الا من أعطاه الله تعالى فهما فى كتابه * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن آية من آيات القرآن الا ولها ظهر وبطن ولبطنه بطن الى سبعة أبطن »وفى رواية الى تسعة وقال صلى الله عليه وسلم « لكل حرف من حروف القرآن حد ولكل حد مطلع »والله تعالى أخبر فى القرآن عن جميع العلوم وجلى الموجودات وخفيها وصغيرها وكبيرها ومحسوسها ومعقولها * والى هذا الاشارة

بقوله تعالى ﴿ ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ ليدّبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ واذا كان أمر القرآن أعظم الامور فأىّ مفسر أدى حقه * وأىّ عالم خرج عن عهدته * نعم كل واحد من المفسرين شرع فى شرحه بمقدار طاقته . وخاض فى بيانه بحسب قوة عقله . وقدر كنه علمه * فكلهم قالوا ـ وبالحقيقة ما قالوا وعلم القرآن يدل على علم الاصول والفروع والشرعى والعقلى * ويجب على المفسر أن ينظر فى القرآن من وجه اللغة . ومن وجه الاستعارة ومن وجه تركب اللفظ . ومن وجه مراتب النحو . ومن وجه عادة العرب . ومن وجه أمور الحكماء ومن وجه كلام المتصوفة حتى يقرب تفسيره الى التحقيق * ولو يقتصر على وجه واحد ويقنع فى البيان بفن واحد لم يخرج عن عهدة البيان * ويتوجه عليه حجة الايمان واقامة البرهان * ومن علم الاصول أيضا علم الاخبار . فان النبى صلى الله عليه وسلم أفصح العرب والعجم . وكان معلما يوحى اليه من قبل الله تعالى * وكان عقله محيطا بجميع العلويات والسفليات * فكل كلمة من كلماته بل لفظة من ألفاظه يوجد تحتها بحار الاسرار وكنوز الرموز فعلم أخباره ومعرفة أحاديثه أمر عظيم . وخطب جليل . لا يقدر أحد أن يحيط بعلم الكلام النبوى الا أن يهذب نفسه بمتابعة الشارع . ويزيل الاعوجاج عن قلبه بتقويم شرع النبى صلى الله عليه وسلم *

ومن أراد أن يتكلم فى تفسير القرآن وتأويل الاخبار ويصيب فى كلامه . فيجب عليه أولا تحصيل علم اللغة والتبحر فى فن النحو . والرسوخ فى ميدان الاعراب . والتصرف فى أصناف التصريف * فان علم اللغة سلم ومرقاة الى جميع العلوم . ومن لم يعلم اللغة فلاسبيل له الى تحصيل العلوم فان من أراد أن يصعد سطحا لميه تمهيد المرقاة أولا ثم بعد ذلك يصعد * وعلم اللغة وسيلة عظيمة . ومرقاة كبيرة . فلا يستغنى طالب العلم عن أحكام اللغة فعلم اللغة أصل الاصول . واول علم اللغة معرفة الادوات وهى بمنزلة الكلمات المفردة . وبعدها معرفة الافعال مثل الثلاثى والرباعى وغيرهما * ويجب على اللغوى ان ينظر فى اشعار العرب * وأولاها واتقنها اشعار الجاهلية . فان فيها تنقيحا للخاطر . وترويحا للنفس وبعد ذلك الشعر والادوات والاسامى يجب تحصيل علم النحو فانه لعلم اللغة بمنزلة ميزان القبان للذهب والفضة . والمنطق لعلم الحكمة . والعروض للشعر والذراع للاثواب . والمكيال للحبوب * وكل شىء لايوزن بميزان لايتبين فيه حقيقة الزيادة والنقصان * فعلم اللغة سبيل الى علم التفسير والاخبار * وعلم القرآن والاخبار دليل على علم التوحيد * وعلم التوحيد هو الذى لاتنجو نفوس العباد الا به ولاتتخلص من خوف المعاد الا به * فهذا تفصيل علم الاصول ﴿ النوع الثانى ﴾ من العلم الشرعى هو علم الفروع

وذلك ان العلم اما ان يكون علميا . واما ان يكون عمليا. وعلم الاصول هو العلمي، وعلم الفروع هو العملي * وهذا العلم العملي يشتمل على ثلاثة حقوق ﴿اولها﴾ حق الله تعالى وهو اركان العبادات مثل الطهارة والصلاة والزكاة والحج والجهاد والاذكار والاعياد والجمعة وزوائدها من النوافل والفرائض ﴿وثانيها﴾ حق العباد وهو ابواب العادات . ويجرى فى وجهين ﴿احدهما المعاملة﴾ مثل البيع والشركة والهبة والقرض والدين والقصاص وجميع ابواب الديات ﴿والوجه الثانى المعاقدة﴾ مثل النكاح والطلاق والعتق والرق والفرائض ولو احقها * ويطلق اسم الفقه على هذين الحقين * وعلم الفقه علم شريف مفيد عام ضرورى لا يستغنى الناس عنه لعموم الضرورة اليه ﴿وثالثها حق النفس﴾ وهو علم الاخلاق * والاخلاق إما مذمومة ويجب رفضها وقطعها . وإما محمودة ويجب تحصيلها وتحلية النفوس بها * والاخلاق المذمومة والاوصاف المحمودة مشهورة فى كتاب الله تعالى وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم من تخلّق بواحد منها دخل الجنة ﴿واما القسم الثانى﴾ من العلم فهو العلم العقلى وهو علم معضل مشكل يقع فيه خطأ وصواب . وهو موضوع فى ثلاثة مراتب ﴿المرتبة الاولى﴾ وهو اول المراتب العلم الرياضى والمنطقى * اما الرياضى فمنه الحساب وينظر فى العدد والهندسة وهى علم المقادير والاشكال والهيئة اعنى علم الافلاك والنجوم واقاليم

الارض وما يتصل بها * ويتفرع عنه علم النجوم وأحكام المواليد والطوالع . ومنه علم الموسيقى الناظر فى نسب الاوتار * وأما المنطقى فينظر فى طريق الحد والرسم فى الاشياء التى تدرك بالتصور . وينظر من طريق القياس، والبرهان فى العلوم التى تنال بالتصديق * ويدور علم المنطق على هذه القاعدة يبتدى بالمفردات ثم بالمركبات . ثم بالقضايا ثم بالقياس . ثم باقسام القياس . ثم مطلب البرهان . وهو نهاية علم المنطق ﴿ والمرتبة الثانية ﴾ وهو أوسطها العلم الطبيعى . وصاحبه ينظر فى الجسم المطلق وأركان العالم وفى الجواهر والاعراض . وفى الحركة والسكون وفى أحوال السموات والاشياء الفعلية والانفعالية * ويتولد من هذا العلم النظر فى أحوال مراتب الموجودات وأقسام النفوس والامزجة وكمية الحواس وكيفية ادراكها لمحسوساتها ثم يؤدى الى النظر فى علم الطب وهو علم الابدان والعلل والادوية والمعالجات وما يتعلق بها * ومن فروعه علم الآثار العلوية . وعلم المعادن . ومعرفة خواص الاشياء . وينتهى الى علم صنعة الكيمياء وهى معالجة الاجساد المريضة فى أجواف المعادن ﴿ والمرتبة الثالثة ﴾ وهى العليا هى النظر فى الموجود . ثم تقسيمه الى الواجب والممكن . ثم النظر فى الصانع وذاته وجميع صفاته وأفعاله وأمره وحكمه وقضائه وترتب ظهور الموجودات عنه * ثم النظر فى العلويات والجواهر المفردة . والعقول

المجردة . والنفوس الكاملة . ثم النظر فى أحوال الملائكة والشياطين ، وينتهى الى علم النبوات وأمر المعجزات وأحوال الكرامات . والنظر فى أحوال النفوس المقدسة وحال النوم واليقظة ومقامات الرؤيا * ومن فروعه علم الطلسمات والزيجات وما يتعلق بها * ولهذه العلوم تفاصيل وأعراض ومراتب ، تحتاج الى شرح جلىّ ببرهان بهىّ ولكن الاقتصار أولى *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن العلم العقلى مفرد بذاته ويتولد منه علم مركب يوجد فيه جميع أحوال العلمين المفردين ، وذلك العلم المركب علم الصوفية ، وطريقة أحوالهم ، فان لهم علما خاصاً بطريقة واضحة مجموعة من العلمين ، وعلمهم يشتمل على الحال ، والوقت والسماع ، والوجد والشوق ، والسكر ، والصحو ، والاثبات والمحو ، والفقر والفناء ، والولاية ، والارادة ، والشيخ والمريد ، وما يتعلق بأحوالهم مع الزوائد والاوصاف والمقامات ، ونحن نتكلم فى هذه العلوم الثلاثة فى كتاب خاص ان شاء الله تعالى * والآن ليس قصدنا الا تعديد العلوم وأصنافها فى هذه الرسالة * وقد اختصرناها وعددناها على طريق الاختصار والايجاز * ومن أراد الزيادة وشرح هذه العلوم فليرجع الى مطالعة الكتب * ولما انتهى الكلام فى بيان تعديد أصناف العلوم *

فاعلم أنت يقينا أن كل فن من هذه الفنون ، وكل علم من هذه

العلوم . يستدعي عدة شرائط لينتقش في نفوس الطالبين . فبعد تعديد العلوم يجب عليك أن تعرف طرق التحصيل فان لتحصيل العلم طرقا معينا نحن نفصلها *

﴿ فصل في بيان طرق التحصيل للعلوم ﴾

اعلم أن العلم الانسانى يحصل من طريقين ﴿ أحدهما ﴾ التعلم الانسانى ﴿ والثانى ﴾ التعلم الربانى . أما الطريق الاول فطريق معهود ومسلك محسوس . يقرّ به جميع العقلاء * وأما التعلم الربانى فيكون على وجهين ﴿ أحدهما ﴾ من خارج وهو التحصيل بالتعلم ﴿ والآخر ﴾ من داخل وهو الاشتغال بالتفكر . والتفكر من الباطن بمنزلة التعلم في الظاهر . فان التعلم استفادة الشخص من الشخص الجزئى * والتفكر استفادة النفس من النفس الكلىّ * والنفس الكلىّ أشد تأثيرا وأقوى تعليما من جميع العلماء والعقلاء * والعلوم مركوزة في اصل النفوس بالقوة كالبذر في الارض . والجوهر في قعر البحر . او في قلب المعدن * والتعلم هو طلب خروج ذلك الشيء من القوة الى الفعل . والتعليم هو اخراجه من القوة الى الفعل . فنفس المتعلم تتشبه بنفس المعلم وتتقرب اليه بالنسبة فالعالم بالافادة كالزارع * والمتعلم بالاستفادة كالارض . والعلم الذى هو بالقوة كالبذر . والذى بالفعل

كالنبات * فاذا كملت نفس المتعلم تكون كالشجرة المثمرة او كالجوهر الخارج من قعر البحر * واذا غلبت القوى البدنية على النفس يحتاج المتعلم الى زيادة التعلم وطول المدة ٠ وتحمل المشقة والتعب وطلب الفائدة * واذا غلب نور العقل على اوصاف الحس يستغنى الطالب بقليل التفكر عن كثرة التعلم فان نفس القابل تجد من الفوائد بتفكر ساعة مالاتجد نفس الجامد بتعلم سنة * فاذن بعض الناس يحصلون العلوم بالتعلم وبعضهم بالتفكر ، والتعلم يحتاج الى التفكر . فان الانسان لا يقدر أن يتعلم جميع الاشياء الجزئيات والكليات وجميع المعلومات ٠ بل يتعلم شيئا ويستخرج بالتفكر من العلوم شيئا * وأكثر العلوم النظرية والصنائع العملية استخرجها نفوس الحكماء بصفاء ذهنهم وقوة فكرهم وحدة حدسهم من غير زيادة تعلم وتحصيل * ولولا ان الانسان يستخرج بالتفكر شيئا من معلومه الاول لكان يطول الامر على الناس ولما كانت تزول ظلمة الجهل عن القلوب لان النفس لاتقدر ان تتعلم جميع مهماتها الجزئية والكلية بالتعلم بل بعضها بالتحصيل وبعضها بالنظر كما نرى عادات الناس وبعضها يستخرج من ضميره بصفاء فكره * وعلى هذا جرت عادة العلماء وتمهدت قواعد العلوم ٠ حتى ان المهندس لا يتعلم جميع ما يحتاج اليه فى طول عمره بل يتعلم كليات علمه وموضوعاته * ثم بعد ذلك يستخرج

ويقيس * وكذلك الطبيب لا يقدر ان يتعلم جزئيات ادواء الاشخاص وادويتهم بل يتفكر فى معلوماته الكلية ٠ ويعالج كل شخص بحسب مزاجه ـ وكذلك المنجم يتعلم كليات النجوم ثم يتفكر ويحكم بالاحكام المختلفة ـ وكذلك الفقيه والاديب وهكذا الى بدائع الصنائع . فواحد وضع آلة الضرب وهو العود بتفكره . وآخر استخرج من تلك الآلة آلة أخرى ـ وكذلك جميع الصنائع البدنية والنفسانية أوائلها محصلة من التعلم والبواقى مستخرجة من التفكر * واذا انفتح باب الفكر على النفس علمت كيفية طريق التفكر وكيفية الرجوع بالحدس الى المطلوب فينشرح قلبه وتنفتح بصيرته فيخرج ما فى نفسه من القوة الى الفعل من غير زيادة طلب وطول تعب ﴿ الطريق الثانى ﴾ وهو التعليم الربانى على وجهين ﴿ الاول ﴾ القاء الوحى وهو أن النفس اذا كملت ذاتها يزول عنها دنس الطبيعة ودرن الحرص والامل . وينفصل نظرها عن شهوات الدنيا . وينقطع نسبها عن الامانى الفانية . وتقبل بوجهها على بارئها ومنشئها وتتمسك بجود مبدعها ٠ وتعتمد على افادته وفيض نوره * والله تعالى بحسن عنايته يقبل على تلك النفس اقبالا كليا ٠ وينظر اليها نظرا الهيا ٠ ويتخذ منها لوحاً ٠ ومن النفس الكلى قلما ينقش فيها جميع علومه . ويصير العقل الكلى كالمعلم . والنفس القدسية كالمتعلم فيحصل جميع العلوم لتلك النفس وينتقش فيها جميع

الصور من غير تعلم وتفكر • ومصداق هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وعلمك مالم تكن تعلم ﴾ الآية• فعلم الانبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق لان محصوله عن الله تعالى بلا واسطة ووسيلة * وبيان هذا يوجد فى قصة آدم عليه السلام والملائكة •فانهم تعلموا طول عمرهم • وحصلوا بفنون الطرق كثيراً من العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات وأعرف الموجودات ، وآدم عليه السلام ما كان عالما لانه ما تعلم وما رأى معلما فتفاخرت الملائكة وتجبروا وتكبروا فقالوا نحن نسبح بحمدك ونقدس لك • ونعلم حقائق الاشياء •فرجع آدم عليه السلام الى باب خالقه ،وأخرج قلبه عن جملة المكونات وأقبل بالاستعانة على الرب تعالى فعلّمه جميعَ الاسماء ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال ﴿ انبئونى باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ فصغر حالهم عند آدم ، وقل علمهم وانكسرت سفينة جبروتهم فغرقوا فى بحر العجز ﴿ وقالوا لاعلم لنا الا ماعلمتنا ﴾ فقال تعالى ﴿ يا آدم انبئهم بأسمائهم ﴾ فأنبأهم آدم عليه السلام عدة مكنونات العلم ومستترات الأمر ، فتقرر الامر عند العقلاء أن العلم الغيبي المتولد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المكتسبة ، وصار علم الوحي ارث الانبياء وحق الرسل ، وأغلق الله باب الوحي من عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله الله عليه وسلم وخاتم النبيين* وكان أعلم الناس وأفصح العرب

والعجم وكان يقول أدبني ربي فأحسن تأديبي * وقال لقومه ﴿ أنا أعلمكم وأخشاكم من الله تعالى ﴾ وانما كان علمه أكمل وأشرف وأقوى لانه حصل عن التعلم الرباني وما اشتغل قط بالتعلم والتعليم الانساني * قال تعالى ﴿ علمه شديد القوى ﴾

﴿ الوجه الثاني ﴾ هو الالهام * والالهام تنبيه النفس الكلية للنفس الجزئية الانسانية على قدر صفائها وقبولها وقوة استعدادها ، والالهام أثر الوحي فان الوحي هو تصريح الامر الغيبي ، والالهام هو تعريضه ، والعلم الحاصل عن الوحي يسمى علما نبويا والذي يحصل عن الالهام يسمى علما لدنيا والعلم اللدني هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري وانما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف وذلك انّ العلوم كلها حاصلة معلومة في جوهر النفس الكلية الاولى الذي هو في الجواهر المجردة الاولية المحضة بالنسبة الى العقل الاول كنسبة حواء الى آدم عليه السلام * وقد بين أن العقل الكلي أشرف وأكمل وأقوى وأقرب الى الباري تعالى من النفس الكلية * والنفس الكلية أعز وألطف وأشرف من سائر المخلوقات ، فمن إفاضة العقل الكلي يتولد الالهام . فالوحي حلية الانبياء ، والالهام زينة الاولياء * فأما علم الوحي فكما أن النفس دون العقل فالولي دون النبي فكذلك الالهام دون الوحي فهو ضعيف بنسبة الوحي قويّ بإضافة الرؤيا * والعلم علم الانبياء

والاولياء * فأما علم الوحي فخاص بالرسل موقوف عليهم كما كان لآدم وموسى عليهما السلام وابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وغيرهم من الرسل وفرق بين الرسالة والنبوة * فالنبوة قبول النفس القدسية حقائق المعلومات والمعقولات عن جوهر العقل الاول، والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات الى المستفيدين والقابلين. وربما يتفق القبول لنفس من النفوس ولا يتأتى لها التبليغ لعذر من الاعذار وسبب من الاسباب * والعلم اللدنى يكون لاهل النبوة والولاية كما كان للخضر عليه السلام حيث أخبر الله تعالى عنه * فقال ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ وقال أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴿أدخلت لسانى فى فمى فانفتح فى قلبي الف باب من العلم مع كل باب الف باب﴾ وقال ﴿لو وضعت لى وسادة وجلست عليها لحكمت لاهل التوراة بتوراتهم ولاهل الانجيل بانجيلهم ولاهل القرآن بقرآنهم﴾ وهذه مرتبة لا تنال بمجرد التعلم الانسانى ، بل يتحلى المرء بهذه المرتبة بقوة العلم اللدنى وقال أيضا رضى الله عنه يحكى عن عهد موسى عليه السلام ان شرح كتابه أربعون جملا فلو يأذن الله لى فى شرح معانى الفاتحة لأشرع فيها حتى تبلغ مثل ذلك يعنى أربعين وقرا ـ وهذه الكثرة والسعة والانفتاح فى العلم لا يكون الا لدنيا الهيا سماويا * فاذا أراد الله تعالى بعبد خيرا رفع الحجاب بين نفسه وبين النفس التى هى اللوح؛ فيظهر فيها أسرار

بعض المكوّنات وينتقش فيها معانى تلك المكنونات فتعبر النفس عنها كما تشاء لمن يشاء من عباده * وحقيقة الحكمة تنال من العلم اللدنى ومالم يبلغ الانسان هذه المرتبة لا يكون حكيما لان الحكمة من مواهب الله تعالى ﴿يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب﴾ وذلك لان الواصلين الى مرتبة العلم اللدنى مستغنون عن كثرة التحصيل وتعب التعليم فيتعلمون قليلا ويعلمون كثيرا ويتعبون يسيرا ويستريحون طويلا *

واعلم ان الوحى اذا انقطع ، وباب الرسالة اذا انسد ، استغنى الناس عن الرسل ، واظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة ، وتكميل الدين ، كما قال تعالى ﴿اليوم اكملت لكم دينكم﴾ وليس من الحكمة اظهار زيادة الفائدة من غير حاجة ، فأما باب الالهام فلا ينسد ، ومدد نور النفس الكلية لا ينقطع لدوام ضرورة النفوس وحاجتها الى تأكيد وتجديد وتذكير — وكما أن الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة واحتاجوا الى التذكير والتنبيه لاستغراقهم فى هذه الوساوس وانهماكهم فى هذه الشهوات ، فالله تعالى أغلق باب الوحى وهو آية العباد وفتح باب الالهام رحمة ، وهيأ الامور ورتب المراتب ليعلموا أن الله لطيف بعباده يرزق من يشاء بغير حساب *

﴿ فصل فى مراتب النفوس فى تحصيل العلوم ﴾

اعلم أن العلوم مركوزة فى جميع النفوس الانسانية وكلها قابلة لجميع العلوم، وانما يفوت نفسا من النفوس حظها منه بسبب طارىء، وعارض يطرأ عليها من خارج ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ خلق الناس حنفاء ، فاختالتهم الشياطين ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ كل مولود يولد على الفطرة ﴾ الحديث * فالنفس الناطقة الانسانية أهل لاشراق النفس الكلية عليها ومستعدة لقبول الصور المعقولة عنها بقوة طهارتها الاصلية وصفائها الاول ولكن يمرض بعضها فى هذه الدنيا ويمتنع عن ادراك الحقائق بامراض مختلفة وأعراض شتى * ويبقى بعضها على الصحة الاصلية بلا مرض وفساد ، ويقبل أبداً مادامت حية * والنفوس الصحيحة هى النفوس النبوية القابلة للوحى والتأييد، القادرة على اظهار المعجزة والتصرف فى عالم الكون والفساد ، فان تلك النفوس باقية على الصحة الاصلية، وما تغيرت امزجتها بفساد الامراض وعلل الاعراض ، فصار الانبياء أطباء النفوس ودعاة الخلق الى صحة الفطرة *

وأما النفوس المريضة فى هذه الدنيا الدنيئة فصاروا على مراتب بعضهم تأثر بمرض المنزل تأثراً ضعيفا . ودق غمام النسيان فى خواطرهم فيشتغلون بالتعلم . ويطلبون الصحة الاصلية ، فيزول مرضهم بأدنى

معالجة وينقشع غمام نسيانهم بأقل تذكر * وبعضهم يتعلمون طول عمرهم ويشتغلون بالتعلم ويطلبون الصحة الاصلية فلا يزول مرضهم بأدنى معالجة وينقشع غمام نسيانهم بأقل تذكر * وبعضهم يتعلمون طول عمرهم ويشتغلون بالتحصيل والتصحيح جميع أيامهم ولا يفهمون شيئاً لفساد أمزجتهم لان المزاج ذا فسد لا يقبل العلاج * وبعضهم يتذكرون وينسون ويرتاضون ويداوون أنفسهم. ويجدون نورا قليلا واشراقا ضعيفا، وهذا التفاوت انما ظهر من اقبال النفوس على الدنيا واستغراقها بحسب قوتها وضعفها كالصحيح اذا مرض، والمريض اذا صح * وهذه العقدة اذا انحلت تقرّ النفوس بوجود العلم اللدنيّ وتعلم انها كانت عالمة فى أول الفطرة وصافية فى ابتداء الاختراع * وانما جهلت لانها مرضت بصحبة هذا الجسد الكثيف، والاقامة فى هذا المنزل الكدر والمحل المظلم وانها لا تطلب بالتعلم ايجاد العلم المعدوم، ولا ابداع العقل المفقود، بل اعادتها العلم الاصلى الغريزى وطريان المرض باقبالها على زينة الجسد وتمهيد قاعدته ونظم أساسه * والاب المحب المشفق على ولده اذا أقبل على رعاية الولد واشتغل بمهماته ينسى جميع الامور ويكتفى بامر واحد وهو أمر الولد * فالنفس لشدة شغفها وشفقتها أقبلت على هذا الهيكل واشتغلت بعمارته ورعايته والاهتمام بمصالحه * واستغرقت فى بحر الطبيعة بسبب ضعفها وجزئيتها فاحتاجت فى أثناء العمر الى التعلم

طلبا التذكار ماقد نسيت ، وطمعا فى وجدان ماقد فقدت وليس التعلم
الارجوع النفس الى جوهرها واخراج مافى ضميرها الى الفعل طلبا
لتكميل ذاتها ونيل سعادتها * واذا كانت النفوس ضعيفة لاتهتدى
الى حقيقة جوهريتها تتمسك وتعتصم بعلم مشفق عالم وتستغيث به
ليعينها على طلب مرادها ومأمولها كالمريض الذى يكون جاهلا بمعالجته
ويعلم أن الصحة الشريفة محمودة مطلوبة، فيرجع الى طبيب مشفق
ويعرض حاله عليه . ويأوى اليه ليعالجه ، ويزيل عنه مرضه * وقد
رأينا عالما يمرض بمرض خاص كالرأس والصدر فتمرض نفسه عن
جميع العلوم ، وينسى معلوماته وتلتبس عليه ويستتر فى حافظته
وذاكرته جميع ماحصل فى سابق عمره وماضى أيامه * فاذا صح وعاد
الشفاء اليه يزول النسيان عنه وترجع النفس الى معلوماتها ، فتتذكر
ماقد نسيت فى أيام المرض * فعلمنا أن العلوم مافنيت وانما نسيت
وفرق بين المحو والنسيان * فان المحو فناء النقوش والرسوم *والنسيان
التباس النقوش فيكون كالغمام أو السحاب الساتر لنور الشمس عن
ابصار الناظرين لا كالغروب الذى هو انتقال الشمس من فوق الارض
الى أسفل * فاشتغال النفس بالتعلم هو ازالة المرض العارض عن جوهر
النفس لتعود الى ماعلمت فى اول الفطرة وعرفت فى بدء الطهارة *
فاذا عرفت السبب والمراد من التعلم وحقيقة النفس وجوهرها *فاعلم أن

النفس المريضة تحتاج الى التعلم وانفاق العمر فى تحصيل العلوم * فأما النفس التى يخف مرضها وتكون علتها ضعيفة وثمرها دقيقا وغمامها رقيقا ومزاجها صحيحا فلا تحتاج الى زيادة تعلم وطول تعب . بل يكفيها أدنى نظر وتفكر لأنها ترجع به الى أصلها وتقبل على بدايتها وحقيقتها وتطلع على مخفياتها فيخرج مافيها من القوة الى الفعل ويصير ماهو مركوز فيها حلية لها فيتم أمرها ويكمل شأنها وتعلم أكثر الاشياء فى أقل الايام * وتعبر عن المعلومات بحسن النظام وتصير عاقلة كاملة متكاملة تستضىء باقبال على النفس الكلية وتفيض باستقبال على النفس الجزئية . وتتشبه من طريق العشق بالأصل . وتقطع عرق الحسد وأصل الحقد . وتعرض عن فضول الدنيا وزخارفها * واذا وصلت الى هذه المرتبة فقد علمت ونجت وفازت * فهذا هو المطلوب لجميع الناس *

﴿ فصل فى حقيقة العلم اللدنى وأسباب حصوله ﴾

اعلم أن العلم اللدنى وهو سريان نور الالهام يكون بعد التسوية كما قال الله تعالى (ونفس وماسواها) وهذا الرجوع يكون بثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الاوفر من أكثرها ﴿ والثانى ﴾ الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة فان النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى هذه الحقيقة * فقال ﴿ من عمل بما

علم اورثه الله العلم بما لم يعلم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من أخلص لله أربعين صباحاً أظهر الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ﴾ ﴿ والثالث ﴾ التفكر فان النفس اذا تعلمت وارتاضت بالعلم ثم تفكرت في معلوماتها بشروط التفكر ينفتح عليها باب الغيب كالتاجر الذى يتصرف فى ماله بشرط التصرف ينفتح عليه ابواب الربح * واذا سلك طريق الخطأ يقع فى مهالك الخسران * فالمتفكر اذا سلك سبيل الصواب يصير من ذوى الالباب * وتنفتح روزنة من عالم الغيب فى قلبه فيصير عالما كاملا عاقلا ملهما مؤيداً كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿ تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة ﴾ وشرائط التفكر نحصيها فى رسالة أخرى اذ بيان التفكر وكيفيته وحقيقته أمر مبهم يحتاج الى زيادة شرح يتيسر بعون الله تعالى والآن نختم هذه الرسالة . فان فى هذه الكلمات كفاية لاهلها * ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور . والله ولىّ المؤمنين . وعليه التكلان *

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم * وحسبنا الله

ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم *

وبه ثقتى فى كل آن وحين والحمد لله

رب العالمين *

﴿ تنبيه ﴾

ليعلم اخوانى طلاب العلوم والمعارف أن حصولى لهذا الكتاب لم يكن أمراً سهلا فقد بذلت الجهد فى نسخه من احدى كتبخانات الاستانة. ولم يقتصر الامر على ذلك بل أجهدنا أنفسنا وأفكارنا فى تصحيحه وتنقيحه حتى جاء ولا عقدة فيه بل بدا للناظرين يطالعونه بدون أن يكلفهم أدنى تعب فى قراءة كلمة من كلماته * والله أسأل أن ينفعنى وأياكم به ويجعله مقدمة لمعرفة الله تعالى ومظاهر أمره وحملة شرائعه الحقيقيين آمين

﴿ تمت ﴾

محيى الدين صبرى الكردى

ميزان العمل

للامام الهمام حجه الاسلام أبي حامد محمد

ابن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ ه

طبع على نفقة

البحاثة المنقب عن الاسفار النافعة حضرة الشيخ

محيي الدين صبري الكردي

الطبعه الثانيه

سنة ١٣٤٢

المطبعة العربية بمصر

﴿بيان الكتب المطبوعة على نفقة ناشر هذا الكتاب وأثمانها﴾

١٥ موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين للسيد جمال الدين القاسمى
٥ جواهر القرآن ودرره لحجة الاسلام الغزالى
٧ ميزان العمل له أيضا . وهو فى التصوف
١٠ معيار العلم فى المنطق له أيضا .
٣ الرسالة اللدنية له أيضا .
١٥ مجموعة الرسائل تحتوى على ٣٠ رسالة أغلبها للامام الغزالى .
١٠ مقاصد الفلاسفة للامام الغزالى .
١٥ النجاة مختصر الشفا للشيخ الرئيس ابن سينا فى الحكم الثلاثة
١٠ جامع البدايع يحتوى على ١٨ رسالة أغلبها لابن سينا وعمر الخيام
٧ جوامع الآداب فى اخلاق الانجاب للشيخ جمال الدين القاسمى
٤ هياكل النور للسهروردى
٥ سلوك المالك فى تدبير الممالك
٦ كتاب الورع للامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى .
١٥ شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسامة فى التاريخ والادب
١٠ الاربعين فى اصول الدين لحجة الاسلام الغزالى *
٥ الجواهر الغوالى من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالى
تشتمل على ٧ رسائل منها الادب فى الدين
١ كيمياء السعادة *

تطلب هذه الكتب من مكتبتنا (المكتبة المراقية) بشارع
بدهلى عمر غرة ١٠٥ والمكاتب الشهيرة